سلسلة المصطلحات

النقدية

2

معجم

المصطلحات النَّقدية والأدبيَّة

والمصطلحات الفارسيَّة واليونانيَّة الدَّخيلة في التراث العربيِّ

تعريف و توثيق

تأليف:

الدكتور محمود الربداوي

1435هـ - 2014م

المصطلح

شغلني هاجس المصطلح النَّقديِّ منذ ربع قرنٍ، وتحديداً منذ سنة 1385هـ أيام ابتُعثتُ لتحضير شهادة الدكتوراه في النَّقد، ولقد هالني، عندما شرعت في (تقميش) المادة غياب المصادر الشاملة للمصطلح النقديِّ القديم، وأوقفني البحث في مصادر الخبر النقدي على فوضى فكريَّةٍ في دلالات المصطلحات، وحصرـ المفهومات، فأخذتُ منذ ذلك الوقت أسعى لسدَّ الفراغ الذي عانيتُ منه لفقدان معجمات المصطلح النقديِّ، خدمةً لنفسي وللمشتغلين في حقل الأدب عامَّةً، وميدان النقد القديم خاصَّةً.

واستمر هذا السعيُّ طوال السنوات الخمس والعشرين الماضية، وأنا أنقِّب في كتب التراث باحثاً عن المصطلحات في مظانِّها، حتى توفَّرَ لي ثلاثةٌ وثمانون وألف مصطلحٍ، هي التي أقدِّم القسم الثاني منها في هذا الكتاب.

ولكي أحدِّد أبعاد هذا المعجم يستحسن أنْ أستبعدَ ما لا يدخل في إطاره مِن بحوثٍ مقاربةٍ، ومِن هذا المنطلق أستبعد الحديث عن:

1- **المصطلح البلاغيِّ الصَّرف**؛ لأنَّ الحديث عن هذا النوع مِن الفنِّ، قد فرغ منه على المستوى النظريِّ، والتَّصنيف العلميِّ غير مشتغلٍ مِن المشتغلين في حقل البلاغة، كالدكتور أحمد مطلوب في كتابَيه: (معجم المصطلحات البلاغيَّة والنقديَّة)[1]، والدكتور بدوي طبانه في (معجمه). ولا يستطيع متتبِّع هذه المعجمات أن يقلِّلَ مِن قيمة الجهد المبذول فيها، ولا يخفِّفَ مِن تصوُّر النَصَبَ الذي لاقاه هذان المؤلِّفان إلَّا ما يجده القارئ مِن التعريفات الكثيرة للفنون البلاغيَّة التي حفلت بها كتب البلاغة، وكرَّرت أسماءها مع تعريفاتها بشيءٍ قليلٍ مِن الاختلاف، ممَّا أمدَّ المؤلِّفَيْن بمادةٍ جاهزةٍ سهَّلتْ عليهما عملية التصنيف والمعجمة.

---

[1] معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، الدكتور أحمد مطلوب: بغداد، 1983-1987. معجم النقد العربي القديم، بغداد، 1989.

2- **المصطلح الأدبي والنقدي الحديث**، وسنُعرض في هذا المعجم عن المصطلحات الأدبيَّة والنقديَّة الحديثة؛ لأنَّ أكثرها مستوردٌ مِن الآداب الأجنبيَّة، ترجمةً أو تعريباً، ويُعفينا مِن إدراج مثل هذه المصطلحات في حديثنا كثرةُ ما أُلِّف من هذه المعجمات التي افتتحها في مطلع الثُّلث الأخير مِن هذا القرن الدكتور ناصر الحاني في كتابه المشهور: (المصطلح في الأدب الغربيِّ)، وفي عام 1975 ألَّف الدكتور كمال عيد كتابه (فلسفة الأدب والفنِّ) عرَّف فيه بحوالي ثلاث مئة مصطلحٍ أدبيٍّ غربيٍّ، ثمَّ صدرت في السنوات العشرين الأخيرة ثلاثةُ مصنَّفاتٍ في المصطلحات الأدبيَّة والنَّقديَّة: الغربيَّة والعربيَّة المعاصرة، الأوَّل: لجبور عبد النور، بعنوان (المعجم الأدبيِّ)، والاثنان الأخيران للدكتورَين مجدي وهبة وكامل المهندس، في كتابيهما (معجم مصطلحات الأدب) الذي انفرد به الدكتور مجدي وهبة، و(معجم المصطلحات العربيَّة في اللغة والأدب) الذي اشتركا فيه معاً.

وجميع هذه المعجمات، على غزارة ما بها مِن المعلومات، ومنهجها السديد في تيسير المعرفة الاصطلاحيَّة الأدبيَّة والنقديَّة للباحثين إلَّا أنَّها لا تعدو- كما اعترف أصحابها- أنْ تكون كتباً مترجمةً عن معجماتٍ غربيَّةٍ للمصطلح في عالَمَيْ النَّقد والأدب، والذي قُدِّر له أن يطَّلع على هذه المعجمات لا بدَّ أنه مُدْرِكٌ أنَّها لم تمسَّ المصطلح العربيَّ القديم إلا مساً رفيقاً، يكاد لا يتجاوز السطحيات والتعريفات المتداولة بين عامَّة الناس، لا خاصَّتهم.

ولذلك ظلَّ المصطلح النقديُّ القديم خارج اهتمامات مؤلِّفي هذه المصنَّفات لا لاستهانتهم به، ولا لعدم حاجتهم له، ولا لأنَّ العصر- الحاضر تجاوزه، وإنَّما لصعوبة رصده، وصعوبة فرز ما هو مصطلح نقديٌّ وأدبيٌّ عمَّا ليس بمصطلحٍ.

ولعلَّه مِن المفيد أن نبدأ بتعريف المصطلح، هذا المعنى المجرَّد الذي هو موضوع حديثنا، وقد عرَّف المصطلح علماءٌ كثيرون .

مفهوم المصطلح:

ففي اللُّغة يقول أصحاب المعاجم: "المصطلح: مصدرٌ ميميٌّ مِن (اصطلح) بمعنى اتَّفق"، وأقدمُ مَن استخدم هذا الفعل في المجال العلميِّ بشرُ ذبن المعتَمِر في صحيفته المشهورة التي رواها الجاحظ في (البيان والتَّبيين) قال: "اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسمٌ"[1]، والاصطلاح: هو المصدر القياسيُّ للفعل السابق، وهو أسبق في الاستعمال العلميِّ مِن لفظة (المصطلح) الذي لم يتردَّد بكثرةٍ إلَّا في كتب المتأخِّرين، وقد عرَّف الاصطلاح طائفةٌ مِن أصحاب التَّعريفات، فيقول عنه الشريف الجرجانيُّ في كتابه (التعريفات): "الاصطلاح: عبارةٌ عن اتِّفاق قومٍ على تسمية الشيء باسم ما يُنقَل عن موضعه الأوَّل."[2]، أمَّا الكفَويُّ فيوضِّح دلالة الاصطلاح بإضافةٍ قليلةٍ، فيقول: "الاصطلاح: هو اتِّفاق القوم على وضع الشيء، وقيل: هو إخراج الشيء عن المعنى إلى معنًى آخرَ لبيان المراد"[3]، وقال الزّبَيديُّ: "الاصطلاح: اتِّفاق طائفةٍ مخصوصةٍ على أمرٍ مخصوصٍ"[4]، وزاد التَّهانويُّ على السابقين بقوله: "إنَّ أكثر ما يُحتاج به في تحصيل العلوم المدوَّنة والفنون المروَّجة إلى الأساتذة هو اشتباه الاصطلاح، فإنَّ لكلِّ عِلْمٍ اصطلاحاً، إذا لم يُعلَم بذلك لا يتيَّسر للشَّارع فيه إلى الاهتداء سبيلاً، ولا إلى فهمه دليلاً"[5].

وقد أطلق بعض العلماء على الاصطلاح لفظة (الحدِّ) وأُلِّفَتْ عدَّةُ كتبٍ تحمل هذا العنوان، كالذي ألَّفه جابر بن حيّان، والكِنديُّ، وإخوان الصَّفا، وابن سينا، وأبو حيَّان التوحيديِّ، والغزاليُّ، ومفهوم هؤلاء العلماء لا يعدو مفهوم الاصطلاح.

ولكنَّ أوضح تعريفٍ وأشمله هو الذي جاء به الشِّهابيُّ الذي يقول: "هو لفظٌ اتَّفق

---

(1) البيان والتبيين، 139/1.

(2) التعريفات، الجرجاني 28.

(3) الكليات، الكفوي 201/1.

(4) تاج العروس، الزَّبيدي مادة صلح.

(5) كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي 1/1.

العلماء على اتِّخاذه للتَّعبير عن معنًى مِن المعاني العِلميَّة، فالاصطلاح يجعل للألفاظ مدلولاتٍ جديدةً، غير مدلولاتها اللغويَّة أو الأصليَّة، والمصطلحات لا توجد ارتجالاً، ولا بدَّ في كلِّ مصطلحٍ مِن وجود مناسبةٍ أو مشاركةٍ أو مشابهةٍ كبيرةٍ كانت أو صغيرةٍ بين مدلوله اللغويِّ ومدلوله الاصطلاحيِّ، ومِن الواضح أنَّ اتِّفاق العلماء على المصطلح العلميِّ شرطٌ لا غنى عنه، ولا يجوز أن يوضعَ للمعنى الواحد أكثرُ مِن لفظةٍ اصطلاحيَّةٍ واحدةٍ، وقد قيل: إنَّ إتقان علمٍ مِن العلوم يكمُن في استساغة الألفاظ الخاصَّة به في موضعها، والتَّصرُّف بها بدقَّةٍ ومهارةٍ معاً."[1]

ومِن هنا نشأ، في جملة ما نشأ في هذا العصر، علمٌ يُسمَّى (علم المصطلح) وهو وإنْ كان عنوانه قديماً عَرَفه المشتغلون بعلم الحديث، إلَّا أنَّه في مفهومنا العصريِّ غدا علماً مشتركاً بين علم اللغة والمنطق وعلم المعرفة والمعلوماتيَّة وحقول التَّخصُّص العلميِّ والأدبيِّ والفنِّيِّ، ويمكن تعريفه بإيجازٍ بأنَّه "العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلميَّة والمصطلحات اللغويَّة التي تعبِّر عنها"[2]، والمصطلح كالكائن الحيِّ يُولَد إذا استكمل مقوِّمات الولادة، ثمَّ ينمو ويتطوَّر، وفي تطوره يخضع للمناقشة، وقد تطول حياة المصطلح، وقد تكون قصيرةً فيدركه الموت، وقد حَدَثَ لكثيرٍ مِن المصطلحات أنْ أدركَها السُّبات مُدَداً طويلةً، ثمَّ بُعِثَتْ للحياة وللاستعمال مِن جديدٍ.

وأصعبُ ما يواجه الباحث أو مؤلِّف المعجم الاصطلاحيِّ هو تاريخ ولادة المصطلح، هذه الولادة التي قد تستعصي حتى على التَّخمين؛ لأنَّ المعجم التاريخيَّ للغة العربيَّة لم يُولَد ولن يُولَدَ مِن خلال المعطيات المتاحة في التَّراكم اللغويِّ الذي تحفل به المعجماتُ الحاليَّة للغة العربيَّة، ولكنَّ المؤرخ لمعجم مصطلحات النقد لا يستسلم لليأس، ففي تراثنا النقديِّ

---

(1) المصطلحات العلمية في اللغة العربية، مصطفى الشهابي، 6 .

(2) علم المصطلحات، الدكتور علي القاسمي، 4.

إضاءاتٌ وقرائن تسمح باستنباط تاريخٍ لولادة مصطلحٍ؛ إمّا تحديداً وإمّا تخميناً يقترب مِن التَّحديد، وهذه خطوةٌ مهمَّةٌ في منهجيَّة التَّأليف المعجميِّ.

وقد لحظتُ مِن استقراء المصطلحات نشوءاً وتطوُّراً، أنَّ دلالة المصطلح تمرُّ بثلاث مراحل متلاحقةٍ متداخلةٍ: الأولى **الدلالة اللغوية**، والثانية **الدلالة المجازيَّة**، والثالثة **الدلالة الاصطلاحيَّة**، أي ما يُسمَّى بعلم اللسانيَّات بالتَّحول الدلاليِّ، وغالباً ما تكون الدلالة اللغويَّة مستمَدَّةً مِن عالم المحسوسات، ثمَّ تدخل عالم المجاز بقرينة التَّشابه، ونسيان المشبَّه به أو حذفه -كما تقول كتب البلاغة في مثل هذه الحالات-، ثمَّ تدخل الدلالة عالَمَ الاصطلاح وتستقرُّ فيه، وتشيع في أوساط المتعاملين به، والذي يُقدَّر له أنْ يستعرضَ تاريخ النقد العربيِّ منذ نشوء بواكير مصطلحاته، تتأكَّد لديه هذه المقولة.

فقد أَلِفَ الدَّارسون أن يبدؤوا بالعصر الجاهليِّ، وهذه بدايةٌ طبيعيَّةٌ؛ إذ إنَّ العصر-الجاهليِّ، في الحدود التي اتَّفق عليها الأدباء، هو منطلَق الأدب والشِّعر والخطابة والنقد أيضاً.

وفي ذلك العصر يُصادف المرء طائفةً مِن المصطلحات نشأتْ في أوساط المتعاملين بالنقد؛ كمصطلح: **السَّجع**، و**الأوابد**، و**الشَّطر**، و**المصراع**، و**الإقواء**، و**النَّظم**، و**القلائد**، و**البيت**، و**شياطين الشُّعراء**، و**الثِّقاف**، و**السَّابق**، و**اللَّاحق**.. إلخ.

والنُّعوتِ التي كانت تُطلَق على بعض كُبرَيات القصائد ومشهوراتها؛ كاليتيمة، والمذهَّبة، والبتَّارة، وسِمط الدَّهر، والمطوَّلات والحوليَّات، والنُّعوت التي كانت تُطلَق على الشُّعراء؛ كالمحبِّر والنَّابغة والمهلهِل والفحل، وبعض الألفاظ التي كانتْ تدور على ألسنة الشُّعراء نقَّاد ذلك العصر، وهي ألفاظٌ تطوَّرت فيما بعدُ حتَّى أصبحت مصطلحاتٍ دخلت بعض فروع العربيَّة؛ كالإكفاء والإجازة والرِّواية والتثقيف والتنقيح والتحكيك والانتحال والقوافي.

ولو أنعم الباحث النظر في هذه المصطلحات لَوجدها ترتدُّ في منابعها إلى ما في حياة الإنسان الجاهليِّ مِن معطياتٍ اشتُقَ منها هذه المصطلحات؛ وهذه المعطيات هي عالَم الخيمة والصَّحراء، وعالَم الملابس والنَّسيج، وعالم الخيل والإبل، وعالم الحجارة الكريمة والمعادن وصياغتها، وعالم الجمال ومشتقَّاته.

وهذا شيءٌ طبيعيٌّ في هذه المرحلة مِن ولادة المصطلح النقديِّ؛ لأنَّ نقَّاد هذا العصر لم يكونوا قد وصلوا بعدُ إلى مرحلة التَّجريد الذهنيِّ في صناعة المصطلح، وإنَّما كانوا ما يزالون في مرحلة الانكفاء على المعاني المحسوسة، والتَّشبيهات المستنبَطة مِن المحيط البدويِّ، والواقع البدائيِّ.

ولعلَّ أصدق مثالٍ على ذلك المصطلحاتُ السَّاذجة التي استعملها ربيعةُ بن حُذَارٍ الأسديُّ في نقده شعرَ كلٍّ مِن الزِّبرقان بن بدرٍ، والمخبَّل السَّعديُّ، وعَبْدة بن الطَّبيب، وعمرو بن الأهْتم، في القصَّة التي رواها الأصبهانيُّ، قال: "اجتمع هؤلاء الشُّعراء الأربعة قبل أن يُسلموا، وبعد مبعث النَّبيِّ ρ فنحروا جزوراً، واشترَوْا خمراً ببعيرٍ، وجلسوا يشوون ويأكلون، فقال بعضهم: لو أنَّ قوماً طاروا مِن جودة أشعارهم لَطِرْنا، فتحاكموا لأوَّل مَن يطلع عليهم، فَطَلَعَ عليهم ربيعةُ بن حذارٍ الأسديُّ، فلمَّا رأوه سرَّهم وقالوا له: أخبِرْنا أيُّنا أشعر، قال: أخاف أنْ تغضبوا، فأمَّنوه مِن ذلك، فقال: أمَّا عمرو بن الأهتم فشعره برودٌ يمنيَّةٌ تُنشَر وتُطوى، وأمَّا أنتَ يا زبرقان فشعرك كلحمٍ لم ينضجْ فيُؤكَل، ولم يُترَك نيِّئاً فيُنتفَعُ به، وأمَّا أنتَ يا مخبَّل فشعرك شُهُبٌ مِن نار الله يلقيها على مَنْ يشاء، وأمَّا أنت يا عبْدة فشعرك كمزادة أُحْكِمَ خَرْزها، فليس يقطر منها شيءٌ"[1].

أسمعتَ هذه المصطلحات النقديَّة التي استخدمها ربيعةُ بن حذارٍ؛ وهي مصطلحاتٌ

---

[1] الموشح، المرزباني، 107-108، والأغاني، الأصبهاني، 203/21.

استمدَّها مِن البيئة المحليَّة؛ **كالبرود اليمنيَّة، ولحم الجَزور، والشُّهب الناريَّة، والمزادة؟** أليستْ أيضاً مستمدَّةً مِن عالَم المحسوسات، لا المجرَّدات؟! وإن كنتَ ما زلت في شكٍّ مِن هذا، فإنِّي مضطرٌ إلى أنْ أعزِّزَ لك المثال السابق بمثالٍ آخرَ تدرك معه أنَّ الألفاظ التي استخدمها الناقد الجاهليُّ في نقده لم تَعْدُ أن تكونَ ألفاظاً مستحضرةَ **اعتباطاً**، فهذا شيخ نقَّاد الجاهليَّة: النابغة الذُّبيانيُّ، عندما يكتشف الخَلَل في شعره الذي أوقفه عليه أهلُ المدينة، والذي عُرِف فيما بعدُ باسم (الإقواء) لم يجدْ في جعبته مِن المصطلحات النقديَّة ما يصف به ذلك الخَلَل، واكتفى بأنْ قال: وجدتُ في شعري (هَنَةً) وفي روايةٍ أخرى (ضَعَةً) وحُرِّفَتْ إلى (صَنْعَةً) وفي روايةٍ ثالثةٍ (بعض عهدةٍ)[1] وهكذا، وإطلاق مثل هذه الألفاظ العامَّة، إن كان هو مطلقَها، أو أطلقها غيرُه ونحله إيَّاها يشهد بغياب المصطلح.

غير أنَّ حاجة الشُّعراء والنقَّاد لمصطلحٍ يتعاملون به ويطلقونه على المسمَّيات الكثيرة التي يحتاجونها في ممارسة الشِّعر، وهو كما قيل: (ديوان علمهم) جعلهم يستعيرون أسماءً مِن البيئة البدويَّة والصحراويَّة فيأخذون أسماءً ذاتَ مدلولٍ ماديٍّ محسوسٍ، ويطلقونها مجازاً على المسمَّيات التي يحتاجونها؛ **كبيت الشِّعر** المأخوذ مِن **بيت الشَّعَر، والشَّطر، والعمود،** وبقيَّة مصطلحات الخيمة؛ **كالأوتاد والأسباب** التي أَخَذَتْ طريقها جميعها إلى ميدان العَروض، ثمَّ في مرحلةٍ ثانيةٍ رسَّخ النَّاقد مجموعةً مِن الألفاظ استمدَّها مِن عالَم الملابس وصناعة النَّسيج، بحُكم الشَّبَه بين عملية نسج الملابس ونسج الشِّعر، فقد نقل ابن سلَّامٍ في طبقاته مجموعة أقوالٍ نقديَّةٍ للقدامى جاءت فيها ألفاظٌ مثل (**مُحْكَم النَّسْج، مهلهل، خُلْقان، وعَصْب وسَمَل، وخَزّ، وكساء، وموشيّ، وسخيف، وخِمار بواف، ومِطرفٌ بآلافٍ، وحوك، وبرود العَصْب، وحُلَل الوشي** وغيرها، وهي كلُّها تدلُّ -فيما تدلُّ عليه- على طفولة المصطلح، وفي مرحلةٍ حضاريَّةٍ لاحقةٍ سيستمرُّ الناقد في استخدام

---

[1] الأغاني، الأصبهاني، 10/11.

ألفاظٍ مستورَدةٍ مِن عالَمِ النَّسيج، ولكنَّها تمثِّل المرحلة الحضاريَّة التي مرَّ بها؛ **كالدَّيباجة والموشَّح**، و**الخرجة** و**القفل** و**السِّمط**، وغير ذلك.

دعنا ننتقل نُقلةً صغيرةً إلى عصر صدر الإسلام، فهل ثمَّة مصطلحاتٌ جديدةٌ؟

قبل أن نجيبَ عن هذا علينا أنْ نتذكَّر أنَّ رجال هذا العصر، وعلى رأسهم الرَّسول ρ شُغلوا بنوعٍ آخرَ مِن المصطلحات شرعوا يُجذِّرونها ويغرسون مفهوماتها، تلكم هي المصطلحات الإسلاميَّة، التي وُلِدَت مع ولادة الدِّين الجديد، وتتطلَّبَتها المرحلة الاجتماعيَّة الجديدة؛ إذ أخذ المسلمون بعض ألفاظ اللغة العربيَّة، بمدلولاتها الوضعيَّة، وأسقطوا عليها دلالاتٍ اصطلاحيَّةً؛ لتُعبِّر عن مستلزَمات الدِّين الجديد، وقد جمَع هذه المصطلحات أبو حاتمٍ الرَّازيُّ في كتاب (الزِّينة في المصطلحات الإسلاميَّة) فيحسن الرجوع إليه.

أمَّا المصطلحات النقديَّة فقد انحسر مدُّها الذي كنَّا نتوقَّع له مزيداً مِن التَّوسُّع، وتراجع إلى الوراء نتيجةً لتراجع الشِّعر نفسه في هذه الآونة، وما ترتَّب عليه مِن تراجعٍ في النَّقد ذاته، وانصراف النَّاس عنه، بسبب العامل السابق، وبسبب انشغال الناس بالحروب وبالفتوح، واستشهاد الكثيرين مِن حَمَلَة الشِّعر ونقده، غير أنَّ كلَّ هذا لم يمنع مِن استمرار نسغ الشِّعر والنَّقد؛ لأنَّ العرب كما وصفهم الرسولρ: **" لَا يَدَعُونَ الشِّعْرَ حَتَّى تَدَعَ الْإِبِلُ الْحُنِينَ"** [1] ولذلك وجدنا الرَّسول ρ، وما هو بشاعرٍ ولا ناقدٍ، تأتَّى على لسانه عفواً وفطرةً، بواكيرُ بعض المصطلحات النقديَّة، فمصطلحٌ مثل مصطلح (البيان) تفوَّه به الرَّسول ρ قبل أن يتَّخذَه الجاحظ عنواناً لكتابه بمئات السِّنين، وَرَدَّ هذا المصطلح، أو بصورة أدقُّ، مشروعَ مصطلحٍ في الحديث الثَّابت نسبته إليه ρ عندما وَصَفَ اقتدار عمرو بن الأهْتم على تصريف القول في نعت الزِّبرقان بن بدرٍ، فقال

---

[1] إحياء علوم الدين، الغزالي، 127، والعمدة، ابن رشيق، تحقيق مُحَمَّد قرقزان. 91/1.

الرَّسول ρ: **"إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْراً"**[1].

صحيحٌ أنَّ لفظة (البيان) عُرِفَتْ قبل قدوم ابن الأهتم وابن بدرٍ على الرَّسول في السَّنوات الأولى مِن الهجرة التي حدَّدنا بها دلالة هذا المصطلح، أقول: عُرِفَتِ اللَّفظة في القرآن الكريم في (سورة الرحمن) إذ قال عزَّ وجلَّ: ﴿**الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾ [**الرحمن**: 1 – 4] فـ(البيان) في هذه السورة أقرب إلى الدَّلالة اللغوية منه إلى الدلالة الاصطلاحيَّة التي عُرِفَتْ فيما بعد، وهي دلالةٌ اقتربت منها دلالة (بيان) في الحديث النَّبويِّ الشريف، ومثل ذلك يقال عن مصطلح (حكمة) أو حكماً، الواردة في الحديث **"إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً"**[2].

وإذا انتقلنا إلى حديثٍ نبويٍّ آخر، إذا صحَّتْ نسبتُه إلى الرَّسول ρ؛ لأنَّ رُواة الحديث يُضعِّفونه، وهو قوله: **"أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي"**[3] ألفينا الفعل (أَدَّبَنِي) ومصدره (تَأْدِيبِي) قد جنح به التَّعبير النَّبويُّ نحو مصطلح (أدب) بمعنى: التَّربية والتَّهذيب بالعلوم الأدبيَّة، التي يقوم بها المؤدِّبون، وهو المعنى الاصطلاحيُّ الذي ستكتسب اللَّفظة دلالته في قادمات الأيام، بعد أن كانت في الجاهلية تدلُّ على المعنى الحسيِّ الذي توحي به كلمة (الأدب) وهو الدَّاعي إلى الطعام؛ كما في قول الشاعر الجاهليِّ:

نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُو الْجُفَلَى لَا تَرَى الْآدِبَ فِينَا يَنْتَقِرْ

و(المأدُبة) كما في الحديث: **"إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللهِ، فَخُذُوا مِنْهُ"**[4] وهذه الدلالات الكثيرة للفظة (أدب) تتبَّعَتْهَا كتبُ تاريخ الأدب العربيِّ في مقدماتها، وحام حولها المستشرقون كثيراً.

---

(1) البيان والتبيين، الجاحظ، 349/1، صحيح مسلم، 594/2.

(2) صحيح البخاري، باب الأدب، 29/8.

(3) كشف الإلباس، العجلوني، 72/1.

(4) مسند الدارمي، فضائل القرآن، 1.

وفي عصر صدر الإسلام يبرز الخليفة عمر بن الخطاب ناقداً للشعر حصيفاً، يتذوَّق الشعر وينقده، وله وقفاتٌ رصينةٌ مع الشعر الذي وَصَفَه عمر بأنَّه (**عِلم قومٍ لم يكن لهم علمٌ أصحَّ منه**)[1]، ويُعَدُّ ابن الخطَّاب المرسِّخ الثَّاني- بعد الرَّسول ρ- لمصطلح (أدب)، فقد أُثِرَ عنه أنَّه قال لابنه عبد الرحمن: (**يا بني... احفظ محاسنَ الشعر يَكْثُرُ أدبُكَ، فإنَّ مَن لم يعرفِ الشعر لم يؤدِّ حقاً، ولم يغترف أدباً**)[2].

وعلى لسان ابن الخطَّاب أيضاً، يُولَد مصطلحٌ جديدٌ سيتردَّد في كُتُب النَّقد القادمة كثيراً، وهو مصطلح (**المعاظلة**) هذا المصطلح الذي وُلِدَ تحديداً في ربيع الأوَّل في السنة السادسة عشرة للهجرة، عَلِمْنا ذلك مِن تحرِّينا للخبر الذي تواتر في كتب الأدب والسِّيرة والتاريخ، ومفاد الخبر: أنَّ عمر بن الخطَّاب قال لابن عبَّاسٍ: (**أنشدني لأشعر شعرائكم، قال ابن عبَّاسٍ: مَن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: زهير، قال ابن عبَّاسٍ: ولِمَ كان كذلك؟ قال: كان لا يعاظل بين الكلام، ولا يتَّبع حوشيَّه ولا يمدح الرجل إلا بما فيه**).[3]

فهذا الحوار النقديُّ كان بين عمر وابن عبَّاسٍ في أثناء توجُّههم إلى الجابية، والثابت تاريخياً أنَّ ذلك التوجُّه كان في ربيع الأول سنة 16هـ، وهذه لقطةٌ نادرةٌ نلتقطها لتاريخ ولادة مصطلحٍ نقديٍّ سيكون له في عالم النقد شأنٌ يُذكَر، وسيتواتر ورود مصطلح (المعاظلة) عند ثعلبٍ والآمديِّ والعسكريِّ وابن رشيقٍ وابن الأثير بهذا المفهوم ولا يشذُّ عن مفهوم جمهور النُّقاد إلَّا قدامة بن جعفرٍ الذي فهمه بأنَّه (فاحش الاستعارة).[4]

نكتفي بهذا القدر مِن مصطلحات عصر صدر الإسلام، ومِن قبله العصر الجاهليِّ، وهما عصران شحيحان بالمصطلحات، ولا نتوقَّع منهما أكثر مِن ذلك. ولنزحف إلى العصر

---

(1) طبقات فحول الشعراء، ابن سلام، 22.

(2) جمهرة أشعار العرب، القرشي، 159/1.

(3) العمدة، ابن رشيق، 98/12.

(4) نقد الشعر، قدامة، 201.

الأمويِّ؛ فأول ما يطالعنا في صدره مرَّةً أخرى، مصطلح (أدب) الذي ترسَّخ الآن وأخذ شكله ومفهومه النهائيَّ في هذه الحقبة، نفهم ذلك مِن مقولةٍ لمعاوية يقول فيها: **"يجب على الرجل تأديب ولده، والشعر أعلى مراتب الأدب"**[1].

وفي هذا العصر نلتقي بأكبر خليفةٍ أمويٍّ ذوَّاقةٍ بصيرٍ بالنقد، ذلك هو الخليفة عبد الملك بن مروان، فأخبار نقده للشعر مستفيضة في كتب الأدب والتاريخ، ويعود له الفضل بترسيخ كثيرٍ مِن المصطلحات النقدية قبل أنْ يتسلَّم علماءُ العربية في عصر التدوين، في آخر الحقبة الأموية، زمامَ قضيَّة الرواية، وما تشعَّب عنها مِن مصطلحات اقتضتها مهنة الرواية والرُّواة، ولعلَّ مصطلح (**أدب**) ومصطلح (**بيان**) ومصطلح (**الرواية والرواة**) بالمعنى التراثيِّ، مدينةٌ بترسيخها وتوضيحها لعبد الملك، يؤكِّد هذا ما رواه صاحب (جمهرة أشعار العرب) قال: **"قال عبد الملك لمؤدِّب أولاده: أدِّبهمْ برواية أشعار الأعشى، فإنَّ له عذوبةً تدلُّ على محاسن الأخلاق، قاتله الله ما أغزر بحره، وأصلب صخره."**[2]

وروى له صاحب (لباب الألباب) أنَّه قال: (**ما الناس إلى شيءٍ مِن الأدب أحوج منهم إلى إقامة ألسنتهم التي بها يتعاودون الكلام، ويتعاطَوْن البيان، ويتهادون الحكمة، ويستخرجون غوامض الكَلِم، ويجمعون ما تفرَّق منها**).[3]

ونحبس القلم عن الاسترسال في عرض المصطلحات التي طرحها عبد الملك وهي كثيرةٌ، مِن جهةٍ، وعن تتبُّع تطوُّر مصطلح (**أدب وبيان ورواية**) مِن جهةٍ أخرى، فقد وضح التتبُّع التاريخيُّ لهذه المصطلحات تطوُّرَ دلالاتها، ووضوح معانيها في أذهان مستمعيها.

ولنترك عبد الملك ولو إلى حين؛ لأنَّ تصنيفه يظلُّ في عداد الخلفاء، لا في عداد

---

(1) العمدة، ابن رشيق، 29/1.

(2) جمهرة أشعار العرب، القرشي 202/1.

(3) لباب الآداب، ابن منقذ، 229.

النُّقاد، وهنا تبرز ملاحظةٌ جديرةٌ بالتسجيل، وهي أنَّ المصطلحات كانت تشيع ويتداولها الناس إذا صدرت عن شخصياتٍ مرموقةٍ، وإن لم يكونوا مِن الوسط النقديِّ، كالرسول ρ وعمر وعبد الملك.

ولنتَّجه إلى طائفةٍ مِن علماء العربية، حِرفتُهم الرواية والتدوين، وقد أسعفت حركة التدوين بعضهم على تأليف كتبٍ تَمُتُّ إلى النقد بصلةٍ، ونقرِّر هنا أنَّ هذا العصر ـ أفرز مجموعةً مِن المصطلحات التي تُعامَل بها على عملية التدوين، ولعلَّ أكثر المصطلحات العامَّة تعاملاً كان في ميدان الحديث النبويِّ الشريف، والعلوم المتَّصلة به؛ كالجرح والتعديل، ونقد رجال السنَد والمتن، والحديث الصحيح والضعيف والمنحول، وهذه المصطلحات الحديثة تسرَّب الكثير منها فيما بعد إلى ميادين الأدب والبلاغة والنقد، وكانت جسور الانتقال التي عَبَرتْ عليها هذه الاصطلاحات مِن فنٍّ إلى فنٍّ، عبرت بها مجموعةٌ من الذين كانوا يمارسون غير مجال علميٍّ ، كأن يكون اشتغالهم بالحديث أو الفقه أو القضاء، ولكن هوايتهم في الأدب، وما هذه الأسانيد الطويلة التي يُوقَع عليها في كتابٍ؛ كموشَّح المرزبانيِّ ومصون العسكريِّ وصناعتَي العسكريِّ الآخر، والأغاني أيضاً إلَّا صدًى لتلك الأسانيد التي استوردها هؤلاء العلماء مِن علم الحديث؛ حرصاً منهم على توثيق الخبر الأدبيِّ والنقديِّ كحرص المحدِّثين على توثيق الأحاديث المنسوبة إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، وفي أخريات هذه المدَّة يزدهر فنٌّ شعريٌّ قام على التنافس بين شعراء البلاط الأمويِّ سُمِّيَ (**شعر النقائض**) ومع أن المناقضة تعود إلى عصرٍ أقدم من هذا العصر إلَّا أنَّها تترسَّخ الآن مصطلحاً أدبياً بجانب مصطلح (**المعارضات**) الذي عاصره في الولادة، وتأخَّر عنه في الاصطلاح.

وفي آخر القرن الثاني وأوائل الثالث دفع المشتغلون في الأدب والنقد بعض مؤلَّفاتهم في هذين الحقلين إلى المثقفين؛ ككتاب (طبقات فحول الشعراء) لابن سلَّامٍ و(فحولة

الشعراء للأصمعيِّ) و(الشعر والشعراء) لأبي (دعامة العبسيِّ) و(الشعر والشعراء) لأبي عبيدة معمَر بن المثنَّى و(الشعر والشعراء) لابن السرَّاج، وحملت هذه المؤلفات، وخاصَّةً في مقدِّماتها كثيراً من الألفاظ التي غدتْ مصطلحاتٍ أدبيَّةً ونقديةً؛ ككتاب "فحولة الشعراء" المنسوب إلى الأصمعيِّ ، فمصطلح (**الفحولة**) الذي عنون به الأصمعيُّ كتابَه، أو عنونه به تلميذُه السجستانيُّ، مصطلحٌ قديمٌ نُعِتَ به علقمة، ونَعت به ابن سلَّامٍ طائفتين من شعرائه الجاهليين والإسلاميين عندما سمَّى كتابه (**طبقات فحول الشعراء الجاهليين والإسلاميين**).

وعلى الرغم مِن أنَّ مصطلح الفحولة مستورَدٌ مِن عالم الإبل ومِن عالم الخيل إلَّا أنَّ ثعلباً كان أكثر جرأةً من الأصمعيِّ على استيراد المصطلحات مِن عالم الخيل، فوصف أبيات الشعر تارةً بأنَّها (**غُرٌّ**) وأخرى بأنَّها (**مُحجَّلةٌ**) وتارةً بأنَّها (**موضحةٌ**) ورابعة بأنَّها (**مُرجَّلةٌ**) وفي هذه الحقبة نلمح نعوتاً مستجلَبةً من عالم الخيل أيضاً، فوصف الشعراء بأنَّ هذا (**سابق**) وهذا (**لاحق**) وهذا (**سُكَّيْت**) وهذا (**ساقة الشعراء**) وحتى (**حلْبة الشعر**) و(**قصب السبق**) و(**وقع الحافر على الحافر**) و(**الخنذيذ**) و(**الثُّنْيان**) كلُّها مصطلحاتٌ نقديةٌ مُستورَدةٌ مِن عالَم الخيل والفروسيَّة.

وعندي أنَّ هذا الصنيع عودةٌ إلى التشبيه بالمحسوسات، وهو تراجعٌ في عملية إيجاد المصطلح؛ لأنَّنا نجد في العصر السابق بذور نزعةٍ باتجاه إيجاد المصطلح المجرَّد، فجاءت هذه الحقبة ردةً إلى المحسوسية من جهةٍ، والاستمداد من معطيات البيئة المحليَّة مِن جهةٍ أخرى.

وفي أواخر القرن الثاني للهجرة تبرز دراساتٌ جادَّةٌ في علم المصطلحات العامَّة، وتأخذ المصطلحات طريقها إلى العلوم المتخصِّصة؛ كعلم النحو وعلم العَروض الذي أعطاه الخليل بن أحمد الكثير من المصطلحات التي ظلَّت وقفاً عليه، وأعتقدُ أنَّه لدقَّة

وضعها، ووضوح دلالتها لم يجرؤ أحدٌ مِن الذين جاؤوا بعده على العَبَث بها، فأكادُ أقول: إنَّها وُلِدَتْ كاملةً؛ ولذلك قُيِّض لها الثبات والخلود.

ويدخل إلى الساحة الفكرية في هذه الحقبة المعتزلةُ المتكلِّمون، وهم فضلاً عن كون بعضهم شعراء، وعن شَغَف بعضهم بالشعر،كانوا أصحاب مَنزعٍ فكريٍّ، ولجاجٍ ومماحكةٍ، ووضعوا شعار: (إعمال سلطان العقل بجانب النقل) وقومٌ هذه صفتُهم لا بدَّ أن تكونَ لهم مصطلحاتهم التي يتعاملون بها؛ لذلك ولَّدوا الكثير مِن المصطلحات التي طوَّعوها للفكر والنقد والأدب.

لنستمع إلى واحدٍ منهم جَمَعَ بين علم الكلام وعلم النقد، ذلكم هو الجاحظ ينقل عن عَلَمٍ بارز مِن أعلام المعتزلة وأعلام النقد؛ هو بشر بن المعتمِر يتحدَّث عن علاقة المتكلِّم بالمستمِع، أو المنتج بالمتلقِّي- كما نقول في مصطلحنا المعاصر- وأنَّه ينبغي أن تكونَ ثمَّة مصطلحاتٌ متعارَفٌ عليها بينهما، لتكون بمثابة قنوات الاتِّصال التي تيسِّر التواصل الذهنيّ بينهما.

قال عن المعتزلة: **"وهم تخيَّروا تلك الألفاظ لتلك المعاني، وهم اشتقُّوا لها من كلام العرب تلك الأسماء، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسمٌ، فصاروا في ذلك سلفاً لكلِّ خلفٍ، وقدوةً لكل تابعٍ، ولذلك قالوا: العَرَض والجوهر، وأيس وليس، وفرَّقوا بين البُطلان والتلاشي، وذكروا الهذية والهوية والماهية وأشباه ذلك."**[1]

فأنت تلاحظ جرأة المعتزلة على وضع المصطلحات، ومنها المصطلحات النقدية المجرَّدة، بل المغرقة في التجريد، كالذي نجده في كُتب الجاحظ، وقد أحصى الباحث المغربيُّ الشاهد البوشيخي 144 مصطلحاً بلاغياً ونقدياً في كتاب (البيان والتبيين) وحده.

---

[1] البيان والتبيين، الجاحظ، 141/1.

وليس معنى هذا أنَّ المعتزلة وحدهم هم الذين احتجنوا عمل المصطلحات، بل نجد في هذا القرن الثالث نُقَّاداً كباراً من غير المعتزلة؛ كابن سلَّامٍ وابن قتيبة وابن المعتز أثْرَوْا المصطلح النقديَّ بأعدادٍ لا حَصْرَ لها من المصطلحات، بَثُّوها في كتبٍ، بعضها وصل إلينا، وبعضها الآخر ضنَّتْ به السُّنون.

وقد بات مِن المُسلَّم به أنَّ القرن الثالث الهجريَّ شهد حركتين ثقافيتين أثَّرتا في مسار فكر المثقَّف العربيِّ آنذاك؛ هما حركة التأليف وحركة الترجمة.

أمَّا حركة التأليف، فقد ازدهرت في هذا القرن، وتناولت جوانبَ مختلفةً من ميادين المعرفة، ومنها ميدان النقد، وشهد ميدان النقد في النصف الأول من ذلك القرن عدَّةَ مؤلفاتٍ نقديةٍ أشرنا إليها قبل قليلٍ؛ كمؤلَّفات ابن سلَّامٍ وابن قتيبة، والملاحَظ على هذه الكتب أنَّ المصطلح النقديَّ كان يَرِد فيها عرضاً في ثنايا المقدِّمات وترجمات الشعراء، خِلواً من التعريف والتمثيل.

أمَّا في النصف الثاني منه، فأصبحت المصطلحات النقديةُّ مقصودةً لذاتها، لم تتناثر في ثنايا ترجمات الشعراء؛ كالذي نجده مِن الحديث الواضح عن المصطلحات في كتاب (البديع) لابن المعتز، فقد عمد هؤلاء النُّقاد إلى اختراع المصطلحات وتعريفها وضرب الأمثلة عليها لتوضيحها، وكان الطابَع العامُّ عليها طابعَ التجريد النظريِّ، بعد أن كانت الأسماء فيما سبق من مصطلحاتٍ تجنح إلى التسمية بالمحسوسات ومعطيات البيئة، أي أنَّ صناعة المصطلحات غدت صناعةً واعيةً تُمارَس بدقَّةٍ وعلميَّةٍ وحَذَرٍ.

وعلى الرغم مِن الجرأة التي تميَّز بها ابن المعتز وقدامة في اختراع المصطلحات إلَّا أنَّهما ظلَّا يخترعانها على وَجَلٍ، ويقدِّمانها على استحياءٍ، وهذا أمرٌ طبيعيٌّ يساور المبدع عند إقدامه على إبداع شيءٍ جديدٍ، لنستمع إلى ابن المعتز يتحدث- بشيءٍ من الحذر- عن قراره في اختراع هذه المصطلحات، وطرحها للمرة الأولى، وخوفه من الاعتراض على تسمية

المصطلح فيقول: **"ولعلَّ بعض مَن قصَّر عن السبق إلى تأليف هذا الكتاب ستُحدثه نفسه وتمنيه مشاركتنا في فضيلته فيسمي فناً من فنون البديع بغير ما سميناه"**[1]، وكلَّما طرح مصطلحاً جديداً توقَّع معترضاً يعترض على الشكل أو المضمون، فقال في مقدمة (البديع): **"قد قدَّمنا أبواب البديع الخمسة، وكَمُلَ عندنا، وكأنِّي بالمعاند المغرَم بالاعتراض على الفضائل، قد قال: البديع بابٌ أو بابان مِن الفنون الخمسة التي قدَّمناها، يذكرها الشعراء ونُقَّاد المتأدِّبين منهم... فمَن أحبَّ أن يقتديَ بنا، ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة فليفعل، ومَن أضاف مِن هذه المحاسن أو غيرها شيئاً إلى البديع، ولم يأتِ غير رأينا، فله اختياره"**.[2] أرأيت إلى ثقة العالِم الممزوجة بحرية الاختيار؟ فهو يجتهد ويخترع، ولكنَّه لا يغلق باب الاجتهاد والاختراع على أحدٍ من الذين توفَّرت فيهم مؤهِّلات الاجتهاد، كيف لا وباب الاجتهاد مبدأٌ مِن مبادئ الإسلام، اتَّبعه المسلمون في الفقه، فما أحراهم أن يتَّبعوه في النقد، ومِن هنا طرح ابن المعتز ثمانية عشر مصطلحاً جديداً دون أن يخشى في الاصطلاح لومةَ لائمٍ.

وتبعه في الاختراع والاجتهاد، وبثقة أكبر، قدامةُ بن جعفرٍ، وطرح أكثر مِن ثلاثين مصطلحاً، وقدَّم مقولته بين يدي استنباطاته معلِناً مبدأ حرية الاختراع فقال: **"... ومع ما قدَّمتُه، فإنِّي لَّما كنتُ آخِذاً في استنباط معنًى لم يسبق إليه مَن يضع لمعانيه وفنونه المستنبطة أسماءً تدلُّ عليها، احتجتُ أن أضعَ لَّما يظهر مِن ذلك أسماءً اخترعتها، وقد فعلتُ ذلك، والأسماء لا منازعةَ فيها؛ إذ كانت علاماتٍ، فإن قَنِعَ بما وضعته وإلَّا فليخترع لها كلُّ مَن أبى ما وضعتُه منها ما أحبَّ، فليس يُنازَع في ذلك"**.[3]

ألاحظتَ هذا المبدأ الذي رفعه قدامة ومَن قبله ابنُ المعتز وهو شعار (**لا مشاحَّة في**

---

(1) البديع، ابن المعتز، 2.

(2) البديع، ابن المعتز، 58.

(3) نقد الشعر، قدامة، 22.

الاصطلاح)؟ ومع أنَّه مبدأٌ إسلاميٌّ عرفناه في اجتهاد الفقهاء، إلَّا أنَّه أيضاً مبدأٌ علميٌّ عالميٌّ نادى به أرسطو من قبلُ، فقد نقل عنه صاحب كتاب (البرهان في وجوه البيان) أنَّه قال: **"إنَّه مطلقٌ لكلِّ أحدٍ يحتاج إلى تسمية شيءٍ ليعرفه به أن يسمِّيَه بما شاء مِن الأسماء"**[1]، ولقد غدا هذا الشعار دُولةً بين النُّقاد، فها نحن أولاء نرى حازماً القرطاجنيَّ يؤكِّد عليه في (منهاج البلغاء...) فيقول: **"ولا تشاحَّ في الألفاظ، كما أنَّه لا حرجَ على مَن عَدَلَ عمَّا تقتضيه تلك الأسامي في المسمَّيات إذا أراد الإفصاح عن جهات مشابهاتها لما نُقِلَت إليها منه التسمية والتمثيل الصحيح في ذلك"**[2] ولم يكتفِ حازمٌ برفع شعار **(لا مُشاحَّة في الاصطلاح)** بل طبَّقه في كتابه (المنهاج) واخترع طائفةً من المصطلحات تفرَّد فيها؛ كالتنوير والإضاءة والمأم، وصنيع حازمٍ هذا جرَّأ النُّقاد المغاربة على اختراع مصطلحاتٍ تفرَّدوا بها عن المشارقة فهذا السجلماسيُّ صاحب (المنزع البديع) يخترع مصطلحاتٍ جديدةً لم يعرفها المشارقة أدرجها في كتابه، وتوخَّى لها السيرورة، كالجنس والموطئ، والفاعل والمعنى الجمهوريِّ، والمعنى الصناعيِّ وغيرها، وقد نسج على منوال السجلماسيِّ والقرطاجنِّيِّ مواطنُهما المغربيُّ ابن البنَّاء المراكشيُّ في كتابه (الروض المَريع في صناعة البديع) غير أنَّ هذه المصطلحات المغربية لم تلاقِ قَبولاً عند المشارقة، ولذلك لم تَرُج في تعاملهم أو في مصنَّفاتهم، وظلَّت رهينة محابس الكتب المغربية، هذا الشعار الذي رفعه النُّقاد الكثيرون الذين نادوا بأن **(لا مُشاحَّة في الاصطلاح)** صحيحٌ أنَّه أطلق حرية الاجتهاد في وضع المصطلحات، ولكنَّه أسهم بشيءٍ من فوضوية الاصطلاح تجلَّت في بعض المظاهر التي رصدناها ونحن نتتبَّع نشوء المصطلحات وتطوُّرها منها:

1 -تعدُّد المصطلحات للدَّلالة على مفهوم واحدٍ، وذلك لتعدُّد الاجتهادات؛ كالطباق، سُمِّيَ المتكافئ، والمطابق، وتجاور الأضداد. والتضاد والتناسب بين المعاني.

---

[1] البرهان في وجوه البيان، ابن وهب الكاتب، 158.

[2] منهاج البلغاء، حازم القرطاجني، 252.

2-تعدُّد المفهومات للمصطلح الواحد، بحيثُ يصبح المصطلح أشبهَ بالمشترك اللفظيِّ في اصطلاح اللغويين؛ مثل مصطلح (التضمين) الذي تشترك فيه الدلالات التالية: (1) استعارتُك الأبيات وأنصافها مِن شعر غيرك وإدخالك إيَّاها في أثناء أبيات قصيدتك. (2) أن يكون البيت الأول محتاجاً إلى البيت الثاني، أو قافية البيت الأول متعلقةً بالبيت الثاني. (3) إعطاء الشيء معنى الشيء كتضمين الحروف معاني غيرها.. الخ".

ونعود إلى المشرق لنستكمل الحديث عن الحركة الثانية التي ازدهرت في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع؛ وهي حركة الترجمة، وأثَرُها على المصطلحات النقدية.

وقبل الحديث عن حركة الترجمة أريد أن أؤكِّدَ مرةً ثانيةً على أنَّ المصطلحات النقدية ولدتْ ونشأت عربيةً، وما الأثر الأجنبيُّ عليها إلَّا أثراً طفيفاً.

صحيحٌ أنَّ الأثر الذي ترك بصماته على بعض المصطلحات النقدية هو الأثر اليونانيُّ، وخاصَّةً كتاب (الخطابة)، وصنوه (كتاب الشعر) لأرسطو، ولكنَّها بصماتٌ شاحبةٌ، لتباين فَنَّيِ الشعر والخطابة في الأصول عند الأُمَّتَين العربية واليونانية، ومع ذلك يستطيع المتتبِّع للمصطلحات اليونانية التي تسرَّبت إلى النقد العربيِّ أنْ يقسمَها إلى قسمين:

القسم الأول: تُرجم ترجمةً صحيحةً واضحةً استوعبته العقليَّةُ العربيَّة؛ كمصطلح المحاكاة والتخييل والإبداع وغيرها.

والقسم الثاني: عُرِبَت أسماؤها تعريباً وليس ترجمةً؛ إذ لا نظائر لها في الشعر العربيِّ، فاحتفظت هذه المعرَّبات بأسمائها اليونانية، وهذا ما وجدناه مِن مصطلحاتٍ في (رسالةٍ في قوانين صناعة الشعر) للفارابيِّ و(فنِّ الشعر من كتاب الشفاء) لابن سينا، وتلخيص ابن رشدٍ فهم يعرفون أصناف الشعر اليونانيِّ نقلاً عن الحكيم أرسطو في أقاويله في صناعة الشعر، وذكروا مِن ذلك:

طراغوذيا، ديثرمب، قوموذيا، إيامبو، دراماطا، ايني، ديقرامي ساطوري، أفيقي، ريطوري، فيوموتا، ايفيجاناساوس، أتوستقي.

إلَّا أنَّ هذه المصطلحات اليونانية لم تجرؤ على دخول حَرَم النقد العربيِّ وظلَّت حبيسة المؤلفات الفلسفيَّة التي دارتْ في فلك الفكر اليونانيِّ؛ كمؤلَّفات الفارابيِّ وابن سينا وابن رشدٍ أثناء محاولاتهم لترجمة كتابه في فن الشعر أو بالأحرى في تلخيصهم له.

إنَّ الاستمرار في عرض تاريخ ظاهرة الاصطلاح في النقد العربي القديم، ومحاولة الوقوف على تاريخ ولادة كلِّ مصطلحٍ على حِدةٍ، عمليةٌ شائقةٌ بمقدار ما هي شائكةٌ، وعمليةٌ ممتعةٌ، وخاصَّةً عند المهتمِّين بالنقد، أو المشتغلين بالأدب الذين يعانون مِن غياب الدِّقة في المصطلحات التي يتعاملون بها، كلُّ ذلك مِن شأنه أن يعمِّقَ مفهوم ما يُسمَّى بـ(أزمة النقد) أو (إشكالية النقد) التي يشكو منها النُّقاد المحدَثون، ولكنَّ الاستمرار في هذا العرض التاريخيِّ- على متعته- لا يسمح به الوقت المفترَض لمقدِّمةٍ نظريةٍ كهذه المقدِّمة، لذا أستميح القارئ العذرَ عن الاستمرار، لكي لا أُثقِلَ عليه؛ إذ أنَّني ما استعرضتُ مِن تاريخ المصطلح إلا ثلاثةَ قرونٍ، وبقيت أمامي سبعةُ قرونٍ عجافٍ لم أتحدَّث عنها، وإن كانت قد بقيت كلمةٌ أخيرةٌ لا بدَّ مِن اختتام هذا البحث بها وهي:

أنَّ دراسة المصطلحات، سواءٌ أكانت قديمةً أم حديثةً، وتوضيح مفهوماتها أساس الدراسة العلمية الجادَّة، لأنَّها ترسم معالم الفنِّ وتوضِّح مبادئه.

وأنَّ وضع معجمٍ دقيقٍ للمصطلح النَّقديِّ القديم، وهذا ما أطمح إليه مِن هذه المقدِّمة، يساعد على وضع معجم مصطلحاتٍ نقديةٍ حديثةٍ على أُسُسٍ سليمةٍ، يجمع بين دفَّتيه طريفَ مصطلحاتنا بجانب التَّليد، ويمهِّد لإيجاد موسوعة مصطلحاتٍ لعلوم العربية متعددة حقول المعرفة، ليست قاصرةً على مصطلحات النقد والأدب فحسب، بل تُضاف إليها مصطلحات العَروض والقافية والنحو والصرف وفقه اللغة واللسانيات

والأسلوبية وما يستجدُّ مِن ميادينَ في دراسة اللغة والأدب، أسوةً بالموسوعات الكبيرة المتعدِّدة الأغراض التي طلعتْ بها علينا حضارة القرن العشرين، وقد يكون مِن نافلة القول أن نشيرَ إلى أنَّه ليس عيباً أن تُراجِعَ المصطلحاتُ معانيَ العبارات الشائعة في نقدنا العربيِّ القديم، فضلاً عن الحديث، لتحرِّرنا هذه المراجعة من سلطة الازدواجية والتراكمية وفوضى الاجتهاد، فتقرِّبنا من التفكير المنطقيِّ السليم، بتوحيد المصطلحات المتعدِّدة للمفهوم الواحد، باصطفاء المصطلح الأدَّق والأرشق الذي تتوفَّر فيه الشروط التي وضعها العلماء لصناعة المصطلح وإمكانية خلوده، وخاصَّةً أنَّنا نعلم أنَّ اللغة التي تُستعمَل في وصف الأدب والشعر تحتمل- باستمرار- كثيراً مِن السفسطة والعبارات غير المسؤولة، وهذا الهدف هو الذي دفعني إلى الاعتكاف على الجمِّ الغفير مِن كُتب التراث؛ ككتب البلاغة والنَّقد، وكتب الأدب، وكتب اللغة والمعاجم، وكتب التفسير وعلوم القرآن والحديث، وكتب الفلاسفة المسلمين وكتب المصطلحات، ووقفتُ عند هذه الأخيرة وقفةً طويلةً ككتاب (كشَّاف اصطلاحات الفنون) للتهانوي، و(التعريفات) للجرجانيِّ و(الكليَّات) للكفَويِّ، و(مدينة العلوم) للأرنيقيِّ، و(حدائق الأنوار في حقائق الأسرار) للإمام فخر الدِّين الرازيِّ؛ لأقتنصَ منها المصطلحات النقدية والأدبية وأشباه المصطلحات، وأغربِل المتراكم منها لفرز الغثِّ مِن السَّمين، وما يدخل في صميم إطار المعجمة، وما يتوضَّع منها على الهوامش والحواشي، وجهدتُ في تعريف كلِّ مصطلحٍ تعريفاً دقيقاً، كما نطق به واضعوه، مرتِّباً هذه التعريفات حسب تاريخ ولادتها، ليسهلَ رصد تطوُّر دلالاتها، والوقوف على المكرَّر منها، والذين تعاملوا مع كتب التراث لا بدَّ أنَّهم لحظوا ظاهرة تكرار الأفكار إن لم أَقُلْ سرقتها، مما يحمل المنقِّب فيها على الضجر وإسقاط الكثير من الغُثاء الذي نعترف بأنَّه لا ينفع الناس، صحيحٌ أنَّ منكم مَن يعترض بأنَّ ضخامة هذا العمل تنوء بها العصبة أولو القوَّة، وتشفق على الجهود الفردية أن تقومَ

بهـا، ويلقـي بتبعـة مثـل هـذه المشـروعات الضـخمة عـلى عـاتق المجـامِع والجامعـات والمؤسَّسات الرسمية، ولكنَّ تجربتنا مع مثـل هـذه المؤسسـات تضـعف تعويلنـا عليهـا، وتقوِّي ثقتنا بالجهود الفردية، وهل أنجزت كبريات المعجـمات وضـخام الموسـوعات في تراثنا العظيم إلا الجهود الفردية؟!

هذا بالإضافة إلى أنَّ تحرِّي تاريخ ولادة المصطلح هو خطـوةٌ أساسـيَّةٌ ومهمَّـةٌ عـلى طريق وضع معجمٍ تاريخيٍّ للغة العربية كلِّها، وإن كان هذا الأخير صعب المنـال، ودونـه خرط القَتاد، ولكنَّ العلم لا ييأس، والبحث لا يعرف القنوط.

في هذا الزمن المتطاوِل الذي أنفقتُـه في جمـع المصـطلحات النقديـة واستقصـائها في مظانِّها مِن المصادر المطبوعة والمخطوطة، كانت دُور النشر تطلع علينا بـبعض المصـنَّفات في المصطلحات، وأعترف أنَّ بعضها يمسُّ مِن قريبٍ أو بعيدٍ الموضوعَ الـذي أنـا بصـدد البحث فيه، تتناوله مرَّةً بالإسهاب، ومرَّةً بالإيجاز، ومرَّةً ثالثةً بالاقتصار على إيراد مرادفه في الانكليزية أو الفرنسية، ومرَّةً رابعةً بالإبحـار في عـالم المصـطلحات الغربيـة الموازيـة، فوُلِدَت في الثمانينيات والتسعينيات مجموعةٌ مِن المصنَّفات؛ كالمعجمات القيِّمة التـي ألَّفهـا الدكتور أحمد مطلوب في البلاغة والنقد، ومعجم الـدكتور بـدوي طبانـة في البلاغيـات، ومجموعة كتب المصطلحات التي ألَّفها أدباءٌ مغاربةٌ، بصفتها رسائل جامعيةٌ، نـالوا فيهـا ألقاباً علميةً، بتوجيهٍ من أستاذ الجيل العلاَّمة الدكتور أمجد الطرابلسيِّ الذي كانت تؤرِّقـه إشكالية المصطلح النقديِّ، وأمضى عمره وهـو يطمـح إلى حـلِّ هـذه الإشـكالية؛ إذ بـدأ بتكوين (ورشة عملٍ) جزئيةٍ في الخمسينيات، في جامعة دمشق، كنتُ أحد أعضـائها، ثـمَّ واصلَ طموحه النقديَّ في الجامعات المغربية، ويأتي على رأس قائمـة طلَّابـه مـن المغاربـة المتحمِّسين للمصطلح النقديِّ الدكتور الشاهد البوشـيخيّ، فبـدأ طالبـاً وانتهـى معلِّـماً، ووقف متفانياً في سبيل خدمة قضيَّة المصطلح.

كما دفعت المطابع كتباً للدكاترة: ادريس الناقوري[1]، وسعيد علُّوش[2]، وخير الله السعداوي[3]، وجبور عبد النور[4]، ومجدي وهبة وكامل المهندس[5]، وميشال عاصي[6]، وإميل يعقوب[7]، وكمال عيد[8]، وإبراهيم فتحي[9]، وضاحي عبد الباقي[10]، وريمون طحَّان[11]، ومحمد عزَّام[12].

يُضاف إليها مجموعةٌ أخرى مِن الرسائل الجامعية التي ما زالت مرقونةً لما تُنشَر بعد، واختلفت مناهج هؤلاء المؤلِّفين، فبعضها أنفق كامل جهده في التنظير لمفهوم (المصطلح)، وبعضها الآخر دخل في معمعة التأليف في المعجم النقديِّ، فأصاب حيناً، وجانَبَه الصواب حيناً آخر، وتفاوتتْ وجهاتُ نظر هؤلاء المؤلِّفين في معاجمهم، كما تفاوتت أهدافهم في التأليف، هذا فضلاً عما نُشِرَ في المجلَّات المتخصِّصة، والصحف السيَّارة، وصدر عن المؤتمرات والندوات العلمية التي عقدتْهَا المجامعُ والجامعات والمؤسسات الثقافية لتدارس إشكالية المصطلح وأزمة النقد العربيِّ، كما قيل، وكان كلَّما وُلِدَ كتابٌ من هذه الكتب، دفعني الفضول العلميُّ للاطِّلاع عليه، فحدَّثتني نفسي الأمَّارة بالركون إلى الدَّعَة أن أتوقَّفَ عن مشروعي في تأليف معجم المصطلحات النقدية،

---

(1) ادريس الناقوري: المصطلح النقدي في نقد الشعر لقدامة بن جعفر، دار النشر المغربية، 1984.

(2) سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة.

(3) خير الله السعداوي: مصطلحات نقدية، أصولها وتطورها إلى نهاية القرن السابع للهجرة.

(4) جبور عبد النور: المعجم الأدبي، نشرته دار العلم للملايين، بيروت 1979.

(5) مجدي وهبة، وكامل المهندس. ألف الأول: معجم مصطلحات الأدب، واشتركا في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، نشر في مكتبة لبنان، 1979.

(6) ميشال عاصي: مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ، صدرت الطبعة الأولى 1974.

(7) إميل يعقوب، بسام بركة، مي شيخاني، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، 1987.

(8) كمال عيد: فلسفة الأدب والفن، الدار العربية للكتاب، ليبيا– تونس.

(9) إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، تونس، 1986.

(10) ضاحي عبد الباقي، المصطلحات العلمية قبل النهضة الحديثة، عالم الكتب، القاهرة.

(11) ريمون طحان ودنيز بيطار طحان، مصطلح الأدب الانتقادي المعاصر، دار الكتاب اللبناني، 1984.

(12) مُحَمَّد عزام، مصطلحات نقدية من التراث الأدبي العربي، دمشق، 1995.

غير أنَّ نفسي الأخرى، ويبدو أنَّ للإنسان نفْسَيْن، أو رأيَيْن، كما قال الشاعر:

لكـلِّ امـرئٍ رأيـان: رأيٌ يكفُّـه عـن الشيـء أحيانـاً، ورأيٌ يُنـازعُ

قلت: غير أنَّ نفسي الأخرى التي تستعذب البحث، وتهوى المشاقَّ، وتطمح إلى بلوغ الهدف تصرُّ عليَّ بالمتابعة، ومواصلة المسيرة في الطريق الذي قطعتُ فيه مئات الخطوات، فكنتُ كلَّما قرأتُ كتاباً ذا صلةٍ بمشروعٍ عمليٍّ انتزعتُ الإحباط مِن نفسي- واقتنعتُ بأنَّ في ذخيرتي الكثير مما أضيفه مِن موادٍ علميةٍ، ينتفع بها قُرَّاءُ هذا المشروع، واقتنعت بأنَّ مِن الحكمة إتمامُ ما بدأت به، وكنت أخشى أن ينطبقَ عليَّ قول المتنبي:

وما كـلُّ هـاوٍ للجميـل بفاعـلٍ ولا كـلُّ فعَّـالٍ لـه بمـتمِّمِ

فكنتُ أركن العمل عدَّة أشهرٍ؛ لأنصرف إلى أولويَّاتٍ كانت تفرضها عليَّ أعبائي الجامعية، ثم أعاود العمل في المعجم، ولو لمدَّة قد تطول وقد تقصر، والآن وقد قاربتُ مِن بلوغ القمة التي أصبو إليها، نظرتُ فوجدتُ حصيلة هذه السنوات تتناسب مع الجهود التي أنفقتها في (تقميش) المادة التي تتبَّعتُها في كل مظنٍّ، ووجدتُ حصيلة ذلك تسفر عن ستَّة مصنفاتٍ في سلسلة المصطلح النقديِّ والأدبيِّ، وهي:

1- كشَّاف العبارات النقدية والأدبية في التراث العربيِّ، صدر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1420هـ-1999م.

2- معجم كُبريات المصطلحات النقدية والأدبية والمصطلحات الفارسية واليونانية الدخيلة في التراث العربي، 1999 وهو كتابنا هذا.

3- المعجم الشامل للمصطلح النقديِّ وروافده.

4- الرسائل النقدية التراثية، تحقيق وشرح ودراسة.

5- النصوص الشعرية ذات المضمون النقديِّ، مرتبةً هجائيَّاً حسب القوافي، جمع

ودراسة.

6- نعوت القصائد وأسماؤها والقيمة النقدية لها.

والكتب الأربعة الأخيرة قيد الطبع.

قواعد عامَّةٌ في صياغة المصطلح:

وليس مِن باب تزكية النفس والعمل أن أقول: إنَّني استفدتُ مِن شروط وضع المصطلح، والقواعد العامَّة التي أقرَّتها المجامعُ العلميَّة، واللِّجان الخاصَّة، وعُقِدَتْ لها المؤتمرات والنَّدوات في الوطن العربيِّ، وطبَّقتها في وضع المصطلحات النقدية في هذا المعجم، ومن هذه القواعد:

1- مراعاة المماثلة أو المشاركة بين مدلولَي اللفظة لغةً واصطلاحاً لأدنى ملابسةٍ. ونبدأ بالدلالة اللغوية، ثمَّ نتبعها بالدلالة الاصطلاحية.

2- الاقتصار على مصطلحٍ واحدٍ للمفهوم العلميِّ الواحد؛ تجنُّباً للوقوع في الاضطراب والفوضى الاصطلاحية.

3- تجنُّب تعدُّد الدلالات للمصطلح الواحد، إذا أمكن ذلك.

4- التزام ما استُعمل أو ما استقر قديماً من مصطلحاتٍ علميةٍ وعربيةٍ، وهو صالحٌ للاستعمال الجديد.

5- تجنُّب المصطلحات الأجنبية، القديمة والحديثة.

6- إيثار اللفظة المأهولة على اللفظة النافرة الوحشية.

7- إيثار اللفظة المفردة على المصطلح المركَّب مِن جملةٍ أو عبارةٍ. (باستثناء كتاب (كشَّاف العبارات النقدية) الذي طبيعته تفرض ذلك).

8- تجنُّب الألفاظ العامِّية واشتقاق مصطلحات منها.

9- تُفضَّل مصطلحات التراث العلميِّ على المولَّدات والمحدَثَات.

10- تجنُّب تعريب المصطلحات الأجنبية إلَّا إذا تعذَّر العثور على لفظٍ عربيٍّ ملائمٍ.

11- عدم جواز النحت إلَّا عند عدم العثور على لفظٍ عربيٍّ قديمٍ، واستنفاد وسائل اللغة مِن اشتقاقٍ ومجازٍ وترجمةٍ، وأن يُراعى في اللفظ المنحوت ملاءمة الذوق العربيِّ.

هذه بعض أهمِّ القواعد التي وضعتها المجامعُ العربية، وأقرَّتها ندوة (توحيد منهجيَّات وضع المصطلحات العلمية الجديدة، التي نظَّمها مكتب تنسيق التعريب بالرباط 1981، واشترك فيها ممثلو المجامع العربية والمراكز اللسانية ووزارات التربية والتعليم في الوطن العربيِّ.)[1]

منهج العمل في هذا المعجم:

يصطنع الباحث المؤلِّف مجموعةً مِن أشكال المناهج يعتقد معها أنَّها توصله إلى الهدف الذي يرتضيه، ويسعى إلى تحقيقه، ويتوخَّى- ولو كلَّفه ذلك عَنَتاً ومشقَّةً- أن يبلغَ الشكل الأمثل في صنيعه، ومِن أجل تحقيق هذا الهدف يزاوج الباحث بين المنهج الإحصائيِّ تارةً والمنهج الوصفيِّ تارةً، والمنهج التاريخيِّ تارةً أخرى، وتتضافر هذه المناهج مكلَّلة بالمنهج الاستنتاجيِّ الذي يستنطِق النصوص، ليستنبط منها التعريفات التي يصوغها بلغةٍ علميةٍ واضحةٍ، ويسير المنهج على النحو التالي:

1- حصر المصادر القديمة التي يمكن أن تكون مظنَّة الاصطلاحات وتصنيفها.

2- استخراج النص الذي ينطوي على المصطلح المنشود.

3- محاولة التقديم بتعريفٍ موضِّحٍ للمصطلح الذي يشمله النص، ويُتَوخَّى في التقديم الأسلوب العلميُّ الدقيق الواضح الذي تتطلَّبه صناعة المعجم.

---

[1] مقدمة في علم المصطلح، الدكتور علي القاسمي، 107-112.

4- شرح معنى المصطلح شرحاً سليماً بعيداً عن الإسهاب الذي يحتمله الكتاب المنفرِد أو المقالة الطويلة.

5- أتركُ لأصحاب المصادر- وخاصَّة النقدية والأدبية- أن يتكلَّموا بأنفسهم معرِّفين مصطلحاتهم بلغتهم الخاصَّة، معبِّرين عن تجاربهم في الوصول إلى الصيغة الاصطلاحية التي ضمَّنوها في مؤلَّفاتهم، وأترك لقارئ هذا المعجم أن يشاركني في دقَّة فهم المصطلح، ومدى انطباق التسمية عليه، وهذا وإن أطال في تعريف المصطلح، إلَّا أنَّني وجدتُه مِن الأمانة العلمية مِن جهةٍ، ومشاركة القارئ لاستنباط التعريفات مِن جهةٍ أخرى.

6- اختيار الاسم الأهمِّ والأشيع للمصطلح الذي تتعدَّد الأسماء له، لكي يظلَّ للمصطلح الواحد اسمٌ واحدٌ؛ تجنُّباً لتعدُّدية التسميات التي آلتْ إلى شيءٍ مِن الاضطراب في المفهوم؛ كما هي الحال في تعدُّد بعض المسمَّيات التراثية للمفهوم الواحد، مما أسهم فيما يُسمَّى (أزمة المصطلح) التي آلت إلى تعقيد إشكالية النقد.

7- ترتيب المصادر التراثية التي تناولت المصطلح الواحد، وعرضها بشكلٍ تعاقبيٍّ، ليقف القارئ على تطوُّر دلالة المصطلح، ويتلمَّس الإضافات الدلالية التي اكتسبها المصطلح عبر القرون.

8- توثيق النصوص وتبيان مصادرها في هامش صفحات المصطلح، مع الحرص على تاريخية تتابعها مِن التوثيق.

9- تداخلتْ في المعجم بعض المصطلحات البلاغية، لما تحمله مِن خصائص تجعلها ذات صلةٍ بالمصطلح النقديِّ والأدبيِّ، أما المصطلحات البلاغية الصِّرفة فقد تكفلَّت المعجمات البلاغية التي سبقت بتبيان مصطلحاتها

وتعريفها تحت تلك المسمَّيات.

10- رأيتُ أنَّه مِن المستحسَن إدراج بعض المصطلحات الفارسية واليونانية التي تعاملت بها المصادر التراثية وتكرَّرت أسماؤها على أقلام المصنِّفين العرب إن مترجمةً أو معرَّبةً، فأحببتُ ألَّا يفوت قارئَ هذا المعجم تعريفٌ واضحٌ لها يساعده على التصوُّر الكامل للنص الذي وردت فيه.

11- رتبتُ المصطلحات ترتيباً هجائياً حسب ابتداءات حروفها: الهمزة، فالألف، فالباء حتى الواو والياء، بغضِّ النظر عن الترتيب الجذريِّ الاشتقاقيِّ الذي درجتْ عليه معاجمنا القديمة، مع ملاحظة استبعاد (ال) التعريف عند البحث عن موقع المصطلح، وإذا كان المفهوم الواحد له تسميتان أو أكثر ترجمتُ له في إحداهما، وأوردتُ الآخر في ترتيبه الهجائيِّ، ولم أعرِّفه أو أترجم له، واكتفيتُ بالإحالة على الترجمة المفصَّلة للمصطلح في ترتيبه الهجائيِّ الأول؛ دفعاً للتكرار، اللهمَّ إلَّا إذا اقتضى التفصيل خلاف ذلك.

الرياض – 1420 هـ

الدكتور محمود الربداوي

***